واقعية الفكر الإسلامي وأثره في صنع القرار

جنان حبيب حاجم الشباني

طالبة دكتوراه ، قسم الفلسفة وعلم الكلام الإسلامي ، جامعة الأديان والمذاهب ، إيران

jinan.habeeb@yahoo.com

الأستاذ المشارك الدكتور حميد رضا شريعتمداري (الكاتب المسؤول)

كلية الشريعة الإسلامية ، الفلسفة ، جامعة الأديان والمذاهب ، إيران

Shariatm46@gmail.com

.الأستاذ الدكتور محمود شاكر عبود الخفاجي

قسم الدراسات القرآنية واللغوية ، الجامعة الإسلامية في النجف الاشرف ، العراق

d.mahmood85@gmail.com

The reality of Islamic thought and its impact on decision-making

Jinan Habeeb Hachim Al Shibany
PhD student , Department of Philosophy and Islamic Theology , University of Religions and Denominations , Iran
Dr. Hamid Reza Shariatmadari
Associate Professor , Faculty of Islamic , Philosophy, University of Religions and Denominations , Iran
Dr. Mahmoud Shaker Abboud Al-khafaji
Department of Quranic and Linguistic Studies , The Islamic University of Najaf , Iraq

الملخّص :

ساد العالم المعاصر فكرة ابتعاد الانسان عن الدين يعتبر من التطور العقلي، وكذلك التشكيك بالقضايا العقائدية باتت من مسلمات السياسة العالمية، ولم يكن ذلك الا لاضعاف الانسان أينما كان، ويشل عقله عن التفكير، لذلك جاءت هذه الدراسة، الواقعية في الفكر الإسلامي واثره في صنع القرار، واشتملت على مطلبين؛ المطلب الأول وخاض في ماهية الواقعية في الفكر الإسلامي، ملخصها الوسطية وعدم التطرف مراعياً الفروق الفردية واختلاف البيئات، وكذلك ما تعلق بالتوازن في التعامل مع القضايا المتعددة، لا افراط ولا تفريط، والمطلب الثاني وتناول التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي، وأثرها في صنع القرار، وكان على رأسها؛ العقل الجمعي، وموجهة تحريف القرار، ويتضمن العقل الجمعي من خلال تهيئة قاعدة مجتمعية لتكون قادرة على استقبال القرارات الالهية، وذلك من خلال عدة أساليب منها؛ التفكر و زيادة الوعي من خلال القراءة، وممارسة العمل لزيادة الخبرات، و اعتمدت الدراسة على المنهج النقلي والمنهج التحليلي، واستندت على المحكم من الايات القرآنية دفعاً للشبهات والتأويل فيما لو عرضت الايات المتشابهة، ولم تستغن الدراسة عن اعتماد التفاسير المعتبرة، وتوصلت الدراسة الى نتائج في هذا المضمار، ومنها؛ احتواء الفكر الإسلامي منظومة قوية تحافظ على الثوابت مع قابليتها على التطور ومواكبة الاحداث، بصورة تتناسب مع الواقع ، وباستطاعتها مواجهة التحديات المجتمعية، ولها القابلية على تحديد المشكلات وإيجاد الحلول لها ومعالجتها.

الكلمات المفتاحية : الواقعية ، الفكر الإسلامية ، صنع القرار ، التحديات المجتمعية ، التوازن المعرفي .

Abstract:

The contemporary world has dominated the idea of human being away from religion is considered a mental development, as well as questioning doctrinal issues has become one of the postulates of global politics, and this was only to weaken the human being wherever he is, and paralyze his mind from thinking, so this study came, realism in Islamic thought and its impact on decision-making and contained two requirements; The first requirement and delved into the nature of realism in Islamic thought, summed up by moderation and non-extremism, taking into account individual differences and differing environments, as well as what is related to balance in dealing with multiple issues, neither excessive nor negligent, and the second requirement dealing with the challenges facing Islamic thought, and their impact on decision-making. on top of it; The collective mind, and the guiding distortion of the decision, and includes the collective mind by creating a societal base to be able to receive divine decisions, through several methods, including; Thinking and raising awareness through reading, and practicing work to increase experiences, and the study relied on the transmission approach and the analytical method, and relied on the the Qur'anic verses in order to ward off suspicions and interpretation if similar verses were presented. This field, including; Containing Islamic thought is a strong system that preserves the constants with its ability to evolve and keep pace with events, in a manner commensurate with reality, and it can face societal challenges, and it has the ability to identify problems and find solutions to them and address them.

Key words : realism , Islamic thought , decision-making , societal challenges , cognitive balance .

المقدمة

ساد في العالم المعاصر دخول الأفكار المختلفة والمتعددة المصادر، والتي سهّلت انتشارها التكنلوجيا الحديثة ، مما شاع الانحراف الفكري للإنسان، من خلال الأساليب المنظمة والعشوائية، وأخطر ما كان منها هو صياغة أفكار جديدة تبعد الانسان عن ربه، وإعطاء مساحة كبيرة للعقل الضعيف باتخاذ قراراته، والتي تصنع له عالماً مبهرجا في الحرية الوهمية، ويغوص فيها الى قاع الانحطاط الأخلاقي والخلقي على حد سواء، بمبررات كثيرة منها وعلى رأسها، أنّ الانسان وصل الى مرحلة التطور التي لا يحتاج فيها الى مدبر اموره، فله المعلومة من الانترنت الكافية لصناعة عالم خاص له، من هنا جاءت فكرة الابتعاد عن الدين الإسلامي، كونه ديناً لا يراعي فيه التطور الحاصل، وقد جاء في بيئة تختلف عن هذه البيئة الحالية، لذلك اخذت هذه الدراسة على عاتقها بيان الصورة الحقيقية للدين الإسلامي من جانب واقعية الفكر الإسلامي المستنبط من الشريعة الإلهية الحقة، من أجل رجوع الانسان الى ربه وادراك ماهية الفكر الإسلامية ومدى واقعيته التي تلائم الانسان في كل العصور، وماهي أوجه القوة في الفكر الإسلامي التي يريد ان يتخلى عنها ليتعلق بأوهام الحرية التي اخذته الى عالم مليء بالقيود النفسية وبات حبيساً في أهوائه ورغباته التي لا حدود لها، فجاءت هذه الدراسة في واقعية الفكر الإسلامي وأثره في صنع القرار، وكانت على مطلبين؛ المطلب الأول وتضمن واقعية الفكر الإسلامي، والمطلب الثاني ويتضمن الفكر الإسلامي والتحديات المجتمعية واثرها في صنع القرار، واعتمد الدراسة على المنهج النقلي والتاريخي في سرد ما احتاجت الدرااسة له من عرض، ومن ثم تحليل الاحداث بما يتوافق مع موضوع البحث، وكان الاعتماد على الايات المحكمة من القرآن الكريم ، رفعاً للشبهات والتأويل التي ربما ترد في الايات المتشابهة، واعتمدت على المصادر المتوفرة من الكتب الورقية والالكترونية، وتوصلت الدراسة الى أنّ الفكر الإسلامي يحتوي منظومة قوية رصينة، وتعتبر من الثوابت عبر العصور والازمان، ولها القدرة على مواكبة التطورات الحاصلة، بل الاحرى أن نقول هو من يقود الانسان للتطور من خلال الحثّ على التفكّر والمعرفة وزيادة الوعي وادامته، وللفكر الإسلامي الوقفة الجادة في مواجهة التحديات العصرية، ومنها العقل الجمعي ، ولنا في الرسول الكريم ومواقفه الاسوة الحسنة في التبليغ، والصبر

على التحديات المجتمعية، وله القابلية على تحديد المشكلات ، وإيجاد الحلول لها، ونرجو من الله التوفيق.

التمهيد :

الواقعية من المفاهيم المتأصلة في الفكر الإنساني ، كونه لا يعمل الفكر الا بالخزين المعرفي الذي لديه ، وهذا الخزين ليس له الأثر الا ما استمد من الواقع الملموس والمحسوس، ومن القضايا التي شغلت العالم الإسلامي في الزمن المعاصر، هل الفكر الإسلامي مستمد من الواقع، أم من عالم مرّ عليه اكثر من الف واربعمائة سنة، هنا جاءت هذه الدراسة في مضمون تلك المفاهيم، أولها:

١- الواقعية المستمدة من الواقع، وهو ما ارتبط بالحقيقة ولا ينحصر بالوجود المادي فحسب بل الحال الملموس والمحسوس، أي له أثر يراه أو يشعر به الانسان،

٢- الصناعة لغة: الصناعة: عن أبي الفضل في لسان العرب قال: (صنعه ، يصنعه، صنعاً، فهو مصنوع، وصنع عمله، وقوله تعالى: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ، ..... وقوله أصطنعوا أي اتخذوا صنيعاً، يعني طعاماً لتنفقونه في سبيل الله، ويقال اصطنع فلان خاتماً، أي سأل رجلاً أن يصنع له خاتماً) .(١)

٣-القرار: (القرار من قرّ: من البرد، مثل القرّ في الشتاء، والبرد في الصيف والشتاء، القرور: الماء البارد يغسل به، القرار: ما بقي في القدر بعد الغرف، قرّ الكلام والحديث في أذنه يقرّه قراً، فرغّه وصبه فيها،..... ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٣٢] ، أي قرار وثبوت، ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ أي مكان لا تتجاوزه، الاقرار: الاذعان للحق، والاعتراف به).(٤)

٤- الفكر الإسلامي: وهو كل فكر متعلق بالتشريع الإلهي ويدور في دائرة التطبيقات والحدود التي بمقتضاها تدخل في اطار الشريعة السماوية التي نزلت على خاتم الأنبياء محمد (ﷺ)، (فالانسان بتفكيره الخاص قد يصل الى تصور نظري معين للكون والحياة والانسان، لكنه يخطئ في تفكيره والنتائج التي يتوصل اليها، فتكون وظيفة الدين أن يحدد ويبين له التصور الصحيح، ..... كما ان الدين يقوم بتصحيح الكثير مما يصل اليه الانسان من أفكار ناقصة أو مغلوطة في هذا المجال) .(٥)

هذه اهم المفاهيم التي استندت عليها الدراسة، لبيان واقعية الفكر الإسلامي من حيث كونه ديناً متعلق بالإنسان نفسه، وما جاء به الحقيقة والصواب، في صياغة حياة حرة كريمة، ولنعرف ما اثره في صنع القرار مروراً بالتحديات المجتمعية وكيفية إيجاد الحلول لها، لذلك جاءت هذه الدراسة واشتملت على مطلبين؛

المطلب الأول

واقعية الفكر الاسلامي

الفكر في الإسلام ليس خاضعاً للتبديل أو التغيير حسب الأهواء والأمزجة، بل هو فكرٌ ثابتٌ حيث يجب الثبات عليه كما في العقائد والأوامر والنواهي القطعية، لكنّه مرنٌ في كثيرٍ من القضايا الفقهية على اعتبار أنّ الفقه في الإسلام متجدّدٌ في كثيرٍ من الفروع والجزئيات، كما أنّ للفكر الإسلامي التّصدّي للأفكار الدخيلة التي تقف سدّاً وعائقاً أمام نهضة المجتمع ومصالح العباد.

والواقعية تعني الفكر المنطلق من الحياة العامة والخاصة للإنسان، ولم ينبثق الفكر الإسلامي من الأحلام والخيالات والأوهام، بل وتشتمل كل الجوانب الحياتية، وما بعد الدنيا.

عندما ننظر إلى نقطة انطلاق الرسالة الإلهية الإسلامية، حيث انبثقت من واقع صحراوي قاسي، تسوده العصبية والعنصرية، والنزاع القبلي، فلم يكن الرسول الإلهي ليفرض على المجتمع التشريعات السماوية التي تنفصل عن واقعهم انفصالاً تاماً، بل جاء بالحرية والكرامة للطبقة الفقيرة المستضعفة، وهم أناس من قلب المجتمع، وكان هذا من حاجة هؤلاء لمن ينقذهم، فلم يأتي بشيء خارج تلك المجتمعات، وكان التدرج التشريعي الذي وضعت قواعده في رسالة الإسلام، إنما كان مراعياً إلى الظروف الواقعية وما كانت عليه المجتمعات حينها، ولم تضخ الأحكام التشريعية دفعة واحدة على عقول قد أخذت طابع الجاهلية وقالبها، فكانت الآيات المكية التي نزلت في مكة تختلف عن الآيات المدنية التي نزلت في المدينة.

(وهذا التنوع في الخطاب القرآني متفرّع على نوع المشكلة التي واجهها الإسلام وواقع الحال الذي عليه مخاطبوه، وقد تفرّع على ذلك انشطار الخطاب القرآني إلى قرآن مكي توحيدي، وقرآن مدني عملي اجتماعي، لأن القرآن المكي كان بصدد معالجة

إشكالية الشتات الفكري، والقرآني المدني كان بصدد معالجة إشكالية الانحلال السلوكي)[٦].

وقد تمثلت واقعية الفكر الإسلامي في شتى المجالات، من حيث الطاقات والبشرية واختلاف مستوياتها بين الأفراد، نجد الفكر الإسلامي تعامل مع الإنسان ضعيف التكوين، وفصلت الأحكام الشرعية على مستواه وقياسه، فالتكليف الشرعي في الواجبات في الصلاة والصيام من حيث مراعاة القوة والقدرة على أدائها ولها الفروع والتفصيلات التي تتناسب مع التعذّر من أدائها بصورتها المفروضة، والزكاة والحج قيدت بالاستطاعة المادية، أي اعتمد على مراعاة الفروق الفردية للإنسان، قال تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[٧]، ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٨]، وعند استقراء تلك الآيات تظهر المراعاة للفروق الفردية بشكل واضح ولا تحتاج إلى تأويل، ومن الواقعية لدى الفكر الإسلامي إشباع الغرائز البشرية من خلال نظام قانوني الهي يحافظ على الإنسان من الضلال والانحراف الخلقي، من خلال نظام الزواج بشروطه، وواجباته، لحفظ النظام الأسري من التفكك والانحلال، وكذلك إشباع غريزة الاكل والشرب في حدود حفظ العقل من ذهابه بالمسكرات والمخدرات، فكانت التشريعات عموماً تشبع الغرائز الإنسانية، وفي الجانب الآخر الحفاظ عليه من تدمير نفسه فيما لا يجوز أخذه، ولم يفرض على الإنسان التصوف والابتعاد الملذات الدنيوية المشروعة ولا رهبانية يحبسون أنفسهم بين جدران القداسة.

كما يحصل في كل العصور المنصرمة والحالية من ظهور الجماعات التي تدعي تطبيق الشرع الإلهي، وواقع الحال يعطي النتائج السلبية، والبعيدة كل البعد عن الهدف الإلهي في تكوين إنسان يفتخر بإنسانيته ليكون خليفة الله في أرضه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾[٩]، فالتغيير صورة واقعية لمن يريد أن يرتقي بإنسانيته، ويحاول حل مشكلاته، فمن الأمور التي تساعد الإنسان أن يرتقي بنفسه كي ينتظر حينها التوفيق الإلهي، هي؛ إعادة الثقة بالنفس فالإنسان محطم داخلياً ويعاني من أزمات ثقة

عميقة وتراكمات تاريخية من الإقصاء والاستئصال من جهة، ومعاناة الغاء الهوية من قبل أطراف عديدة، أهمها الاستعمار القديم والحديث من جهة أخرى، وترسبات الظلم والجور من قبل الحكام الطاغوتية، وكل ما مرّ به الإنسان من محطمات للشخصية، كل ذلك يحطم جسور الثقة بالنفس، لذلك لابد من إعادة تلك الثقة المفقودة ومن تلك المنبهات لاستعادة الثقة هو ان يعرف الإنسان هو المخاطب في القرآن الكريم وإن نزل على قلب النبي (ﷺ)، إلا أنه واقعاً نزل على قلب كل إنسان مادام الإنسان هو المخاطب، بلحاظ كل سورة وكل آية وكلمة وحرف قرأني ناظر إلى إنسان بعينه، والأمر الآخر هو إعادة الثقة بالآخر، أعني خط علاقة الأنسان بأخيه الإنسان، فإنها علاقة تكاملية لا علاقة تزاحمية واقصائية، والأمر الثالث هو: إعادة الثقة بتراثنا النصي، فهناك حملات منظمة للتسقيط من النص التشريعي، وتذويب الثقة والتواصل مع النص القرآني، وكما نرى اليوم نفور الفتيان والشباب من القراءات القرآنية، وبهذا لو أعاد الإنسان ثقته بنفسه وباخيه الإنسان وبالنص الإلهي، يصبح قوة يستطيع معها صنع القرار المناسب في الوقت المناسب.(١٠)

والواقعية التي اعتمدها الفكر الإسلامي أعطت نتاجاً وقيّماً للإنسانية في حل الأمور العالقة ما بين التطرف والعصبية ومن أهمها:

١- الوسطية :

من منطلق الواقعية التي انتهجا الفكر الإسلامي تنبع المعطيات العملية، والتي تمثل النتاج الحي للسلوك الإنساني على سطح الأرض، فالوسطية تعني أخذ الموضع الوسط بين أمرين، ولدينا الجانبين في كثير من القضايا الحياتية، مثل الحب والكره، والإسراف والبخل، التوجه العلمي، والأخر أخلاقي، فلكل منها السلبيات التي تشوه صفاتها وتحيدها عن الغايات التي من أجلها وجدت، مثلاً: لو اتجه الإنسان إلى أبعد نقطة في الحب الذي ابتعد فيه من العقل الحاكم، وكان نتاج هذا الحب البعيد عن العقل هو السلوك نحو التخبط العشوائي، والضرر الذي يصيب الحبيب بدون أن يقصد، وكذلك في جانب آخر قد نهى الإنسان أن يسرف في العطاء الذي يجعله هو بالتالي يحتاج لمن يساعده فالاعتدال في كل شيء من مستويات التعقل في الفكر الإسلامي، قال تعالى:

﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١١)، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (١٢).

تمثل هذه الخصيصة كون المسلم يُحكّم أفكاره وتصوّراته الذهنية من وسطية رسالة الإسلام واعتداله، ومنها ما فرضه على الإنسان المسلم إتباع العقل والتعقل في كل الأمور الحياتية، وضع معها الجانب الوجداني ليشركه في اتخاذ القرار، لأن الإنسان كثيراً ما يقف عاجزاً حائراً في مواطن القرار، ولابد من اللجوء إلى الجانب الغيبي، والتوسل بالله تعالى ليكون له المرشد والموجه، هذه الوسطية في الفكر الإسلامي ومنها تترجم إلى السلوك الحياتي للإنسان في مختلف أمور حياته.

(إصلاح النظام الاجتماعي مفوّضة تماماً إلى الإرادة الاختيارية البشرية وإلى الإرادة التشريعية، مع أنّ هذه النظرية هي إفراط في مقابل نظرية المرجئة والقدرية التي تفترض الجبرية وتتبّناها في المسرح النظام الاجتماعي السياسي، أي اعطاء المساحة والدور إلى الإرادة التكوينية الإلهية فقط مع إلغاء دور الإرادة الاختيارية البشرية في ظل الإرادة التشريعية بخلاف النظرية الوسطية التي هي الأمر بين الأمرين، فإنّها لا تتبنّى رؤية اليأس كما في النظرية الثانية كما أنّها لا تتبنّى رؤية الاستقلال التفويضي كما في النظرية الأولى وهذا معنى لزوم تقيد الإرادة الاختيارية في ظل دائرة التشريع والتكليف وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (١٣)، ﴿ إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (١٤)، فالتقيّد بالحدود الإلهية هو سبيل المَخْرَج، ففي ظلّ الصراع السياسي والاقتصادي والفكري والإعتقادي أو المالي والتجاري أو العسكري والأمني، التقيد بالحدود الإلهية..... هو السبيل والمخرج من المأزق لا ارتكاب المحظورات كما هو سبيل الإنتهازيين وعصابات المرتزقة السياسية)(١٥).

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٦)، فالفكر الإسلامي لا إفراط فيه ولا تفريط، بل التوازن والموازنة بين

متطلّبات الجسد وأشواق الروح وفضاءات العقل، والوسطية في سلوك الإنسان نفسه، وما تشمل من التعامل مع المجتمع من جهة والتعامل مع نفسه من جهة أخرى، فهو بين أمرين الحكم الإلهي وما فوض له العقل، حاشا لله أن يجبر عبداً على فعل ثم يعاقبه عليه، وحاشا لله أن يكون من الهوان أن يترك الإنسان على هواه بدون نظام أو قانون، (قول الإمام الصادق (عليه السلام): لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين. قال الشّيخ المفيد رحمه الله: الجبر هو الحمل على الفعل والاضطرار إليه بالقهر و الغلبة، وحقيقة ذلك إيجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون لهم قدرة على دفعه والامتناع من وجوده فيه، وقد يعبّر عمّا يفعله الإنسان بالقدرة التي معه على وجه الإكراه له على التّخويف والإلجاء أنّه جبر، والأصل فيه ما فعل من غير قدرة على امتناعه منه حسب ما قدّمناه، وإذا تحقّق القول في الجبر على ما وصفناه كان مذهب أصحاب المخلوق هو بعينه، لأنّهم يزعمون كان مذهب الجبر هو قول من يزعم أنّ اللّه تعالى خلق في العبد الطّاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها والامتناع منها، والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزّنادقة وأصحاب الإباحات، والواسطة بين هذين القولين أنّ اللّه تعالى أقدر الخلق على أفعالهم ومكّنهم من أعمالهم، وحدّ لهم الحدود)[١٧]،

كما يحفظ هذا التوسط في نظرته للحقوق والواجبات، كما للإنسان من حقوق متبادلة مع أخيه الإنسان وأمام الله تعالى، كذلك له الواجبات المفروضة عليه لتكتمل المعادلة الحياتية بالنظم الصحيحة المكملة أحداهما الأخرى، وكذلك في مجال الفردية والجماعة، ويجري كلّ ذلك على نسقٍ فريدٍ منسجمٍ مع روح رسالة الإسلام.

٢- التوازن

الفكر الإسلامي يتجسد في إيمانه المطلق في قيام المخلوقات على نظام موزون بقدرة إلهية لا يدركها بشر، من أبسط الأمثلة التي يعيشها كل إنسان على سطح الأرض، وهو عملية التنفس وما تشتمل من الشهيق والزفير، والتي بدورها تأخذ الأوكسجين وتعطي ثاني أوكسيد الكاربون، وفي المقابل النبات يأخذ ما يزفره الإنسان من ثاني أوكسيد الكاربون ليعيد الأوكسجين إلى الفضاء، أي منظومة هذه وأي توازن يحافظ على نسبة كلا الغازين في الهواء، هذا نزر يسير من كثير في استبدال الغازات بين الكائنات الحية

والغير حية، والتوازن بكلا الجانبين المادي والمعنوي، أي الحسي والعقلي، فالموارد التي تمثل الجانب الحسي في واقعية التوازن الكوني، والتوازن في المخلوقات على سطح الأرض، من حيث خلق من كل شيئين زوجين إثنين، قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١٨]، فهذا التوازن الذي أدى إلى استمرار التناسل في المخلوقات، هذا من جانب أما الجانب الآخر وهو الجانب المعنوي العقلي، المتمثل بالأمور التي لا ترى بالعين بل بالعقل، ومنها التوازن في السلوك، من حيث التزام الإنسان بالقانون الإلهي، والتشريع الرباني، وهو أمام مسؤولية حفظ التوازن البيئي، في شتى المجالات ومنها الماء والهواء والتربة، فالثورة الصناعية التي غزت العالم والتي اعتبرت من النقاط الأساسية في تطور المجتمعات، لكن ما كان منها بالمقابل إلا أن أهملوا الجانب السيء لهذا الأمر وهو التلوث البيئي والإخلال بالتوازن الطبيعي، ملئت الأنهار بالسموم والهواء كذلك ولم تسلم الأرض من الجرف والتصحر، وبما أن الفكر الإسلامي يمتاز بالشمولية، فلذلك لم يغفل عن وضع الحلول الناجعة لكل المشكلات للحفاظ على البيئة بالتوازن الذي خلقت به، ولا يوجد في الكون ظاهرة يراها الإنسان شرّ له إلا ما كانت له العلل فيها ومسبباتها، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[١٩]، (مّا ظهور الفساد في البرّ فبمنع السماء أمطارها فيقع القحط والغلاء وكثرة الأمراض والأوبئة وأمّا في البحر فبكثرة الفيضانات وثوران البحار مع ما يترتب على ذلك من المضار. بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ أي بسوء أفعالهم من الكفر والفسوق والمعاصي لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا أي ليصيبهم اللّه بعقوبة بعض أعمالهم من الكفر والمعاصي. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أي ليرجعوا عنها في المستقبل بعد أن يعتبروا)[٢٠].

المطلب الثاني

الفكر الإسلامي والتحديات المجتمعية واثرها في صنع القرار

جُبل الإنسان باحثاً عن السعادة، فغالباً ما يقترن الشعور بالسعادة في حال توفر الأموال، والتمتع بالمأكل والمشرب، وتوفير المستلزمات الفارهة من المنازل والسيارات،

وحينما ركزّ الإنسان على هذا الجانب، نسي أمراً مهماً في استحصاله على السعادة، وهو التركيز على الفضائل المعنوية الإنسانية التي خلق الإنسان من أجلها، وهي الجانب الأخلاقي، باتت الشعوب في عصرنا الحالي تركز على الماديات والبراهين العقلية أكثر مما توجه البعض الى الجانب الإنساني الروحاني، ولاسيما ونحن في عصر غلبت فيه التكنلوجيا الحديثة وباتت قنوات التواصل يتمتع بها أغالب شعوب العالم، وبالتالي أنفتح الإنسان على العالم أجمع وما فيه من الثقافات والعادات المختلفة، فكان الغزو الفكري للإنسان يشمل سكان العالم أجمع، فغلبت النزعة الذاتية على سلوك الإنسان، ودخل في خضم النزاعات الداخلية في نفسه ومع الآخرين، على أنه يعقل ويفهم بلحاظ ما وصل إليه من العلوم التي سيّرت المسيرة البشرية في كل العصور، ورموا وراء ظهورهم التدبير الإلهي والقدرة الإلهية في خلقه.

لنستعرض بعضاً من الآيات في خصوص ما توجه له الإنسان في العصور المتعاقبة وما أوصلنا إليه العقل الإنساني، قال تعالى :﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾[٢١] أو قوله تعالى : ﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾[٢٢] ، أو قوله تعالى :﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٢٣]

فقد حاكى الفكر الإسلامي المستنبط من الخطاب القرآني، أن جميع الأحكام في جميع مفاصل الحياة للإنسان لابد لها من حكم إلهي فيه، ومن ذلك الحكم العام للدولة، (والدولة فيه قسم لا قسيم فكما ينظم شؤون الفرد وينظم شؤون الأسرة ينظم شؤون الدولة وينظم شؤون المجتمع الدولي ذلك فقه الإسلام وفكرة الدولة جزء من الدين قسم له لا قسيم، وتأريخ الإسلام لم يعرف هذه التفرقة: وليس في أحداثه ما يبررها فلئن عرفها الغرب كرد فعل لاضطهاد الكنيسة لهم والعلماء وافتئاتها على عقائد الناس وعقولهم حتى سولت لنفسها أن تصدر صكوك الغفران وقرارات الحرمان عن هوى وتحكم إذا كان ذلك فإن شرقنا الاسلامي لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء بل حفظ لهم الإسلام وحفظت لهم أمته أكرم مكانة وأعز دولة وكيف لا ؟ وهم ورثة محمد (ﷺ) على دينه وشرعه وميراثه ؟ ومن ثم فلم يكن هناك محل لا من الناحية الفكرية ولا

من الناحية التاريخية لبث فكرة فصل الدين عن الدولة. لكن الأمر كان يدبر بليل واعتنق حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفكرة وعمل على ترويجها. ثم عمل عن طريق ضباطه على عزل عبد الحميد ذلك الخليفة الذي رفض أن يعطي فلسطين وطنا قوميا لليهود وبصق في وجه زعيمهم قرصو. وصارت الحكومة المدنية في أنقرة هي التي تحكم والخليفة في الآستانة بغير سلطان تطبيقا لفصل الدين عن الدولة ثانيا - نشر القومية في مواجهة الخلافة:كانت اليد الخفية التي تعمل على تقويض الخلافة ببث فكرة فصل الدين عن الدولة تعمل من ناحية أخرى عن طريق القومية)[٢٤]

هذا ما عملت عليه الدول الأخرى من أجل اضعاف الدولة الإسلامية، ومن أساليبها هو: (إثارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا)، وإثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة، والأولى تعهدها حزب الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة. والثانية انزلق إليها الشريف حسين ظنا منه أنها الوجه الآخر للاسلام، واعتقادا منه في حسن نوايا الجاسوس (لورانس) ومن وارئه ماكماهون حتى انتهى الأمر إلى أن تحارب جيوش القومية العربية جيوش الخلافة الاسلامية تعضدها الجيوش الإنجليزية التي سارت تحت راية فيصل بن الشريف الحسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال الفاتحين، هذا ما أدى إلى إسقاط الخلافة الاسلامية: ولم يكن عبثا ولم يكن تدبير مصطفى كمال أتاتورك ولا حزب الاتحاد والترقي. وكان هؤلاء إلا " النعل " الذي تلبسه القدم الغليظة الكارهة الكريهة، وإلا ففيم توقع نيلوس مند سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١) ؟ وفيم قول مؤتمر التبشير أن الشجرة لا بد أن يقطعها أحد أعضائها وفيم تهديد الزعيم اليهودي قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن رفض إعطاء فلسطين لليهود)[٢٥].

التحديات مجتمعية:

واجه الإنسان التحديات المختلفة سواء على الصعيد المادي أو الفكري، و لما للعقل من الأهمية في مصير الشعوب والذي يعتبر الأداة الفاعلة في نهضة الشعوب، وتقدمها بما يتناسب مع العصر، كان التوجه إليه لسلبه الحكمة والتعقل منه وجعله أسيراً تحت قيادة معينة، ولقد واجه الإنسان هذه التحديات بأشكال مختلف، تختلف من مجتمع إلى آخر، و للعقيدة والإيمان الدور الفاعل في التصدي ومواجهة هذه التحديات، ونحن أمام الفكر

الإسلامي وتحديات العصر التي لها الأثر في صناعة القرار، نخطو بأدراجنا حول بعض التحديات المعرقلة لتطبيق الفكر الإسلامي الحق في صناعته للقرار ومنها:

أ- العقل الجمعي

من أخطر التحديات التي تواجه صناعة القرار، هو سيادة العقل الجمعي المطبق في المجتمعات، ومعضلة كيفية إبراز هذا القرار لتلك المجتمعات المتصفة بهذه الصفة، ولم تولد هذه الصفة من العدم، بل صيغت هذه العقول من نتاج الأفكار والعادات والتقاليد التي رسخّها المجتمع طوال الفترات الزمنية التي عاشوها معاً، والتفاوت النسبي بين المجتمعات يعتمد على مدى تعلق المجتمعات بتلك العادات والأفكار، وفي كل الأحوال تحوّل المجتمعات إلى الجمود العقلي والركود الذهني والتكلس، لأنه يربط العقول مع بعضها البعض بسلاسل الأفكار الموحدة فيما بينهم، وليس بالضرورة هذه الأفكار سلبية، ربما تمثل أفكار إيجابية، وتمثل العامل المشترك بين العقول العامة في المجتمع، ولقد أشار الله تعالى لهذه القضية في الخطاب القرآني، من خلال عرض مفهوم الناس عبر العصور، ولفظة الناس انما تدلّ على العقل الجمعي لهم، وقد أشار الله تعالى لهؤلاء في موارد كثيرة بأنهم لا يعلمون لا يفقهون وكثير من الصفات السلبية، ومنها: ﴿ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ }[٢٦]، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢٧]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[٢٨]، (كان كفرهم وعبادتهم الأصنام ينبع من نوع آخر من الوثنية، هو التسليم الأعمى للعادات الخرافية التي كان عليها أسلافهم، معتبرين ممارسات أجدادهم لها دليلا قاطعا على صحتها)[٢٩] ، هنا يلقي الانسان بمبررات ضلالته الى العقل الجمعي.

يعالج الفكر الإسلامي عقبات العقل الجمعي من خلال الإشارة إلى أن الإنسان هو المسؤول بشكل فردي عما يعتقد، ويقرر، وإشارة الخطاب القرآني لهذه القضية، من حيث صفة المخاطب بالعقيدة والتي هي مركز السلوك الإنساني، وهي التفرد في تبني قضية معينة تحدد مصيره العقائدي، ومن ثم هو من يتحمل تبعات ما آمن واعتقد، وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } أول آية من سورة التوحيد وهي أساس الإيمان والعقيدة الإسلامية، وهذا التفرّد بالأمر الإلهي انما يدلّ على الكيفية التي يؤمن

بها الإنسان معتقداً من ذاته، مؤمناً بكل جوارحه، والقرار صادر منه لا تقليد فيه، وهذا التفرد الذي تؤكده الفطرة الإلهية لكل الناس، من حيث ولد على الفطرة وهي فطرة الله تعالى، وما المجتمعات إلا مؤثرات تغيير ما في الفطرة أو تؤكدها، والحقيقة الثابتة هي ثبوت الفطرة النقية لكل إنسان، ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣٠]، كثيراً ما نرى الجنوح العقلي الجمعي في قضية ما، لا يعرف أساسها من مبرراتها إلا أنهم مع المجموع، وقد حرص القرآن الفكر الإسلامي على سلامة العقل من قيود وسلاسل العقل الجمعي.

وقد انتهج الفكر الإسلامي النماذج الواقعية التي واجهت العقل الجمعي، وانتشلت المجتمعات مما كانت فيه من الثقافة الجمعية الضّالة إلى الإيمان الفردي، المتمثل بتحرير العقل من الخرافات إلى الواقعية الحرة، هذا ما جاءت به قصص الأنبياء عبر العصور المتعاقبة، فكانت الدعوة فيها فردية أمام عقل جمعي يجتمع الناس فيه على عقيدة واحدة أو عقائد مختلفة، وانتصر العقل الفردي على العقل الجمعي بما قدّم من دلائل وبراهين تأخذ العقل الى التفكير المنطقي العقلاني.

تهيئة قاعدة مجتمعية :

إن صناعة القرار لدى المجتمعات كما اسلفنا له العلاقة والأثر بما يتبنى من أفكار، لذلك فصناعة القرار من هذا المنظار لابد من معرفة فلسفة ذلك المجتمع، فالتهيئة في المجتمع من أجل أن يستنير عقله ويعلم ما يريد ويتبع ما يولّد لديه القناعة، لذلك الإشارة في الخطاب القرآني إلى أن يكون الناس أمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٣١]، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾[٣٢]، المشكلة ليست بالتجمع في أصل ذاته وانما في ما يحمل العقل في تلك المجموعة، وكيفية ممارسة الانقياد مع تلك المجموعة، وكما بني الفكر الإسلامي على العقيدة والإيمان، وهذا لا يستحصل إلا بالعلم اليقيني لدى الفرد يقول الفارابي: (من حيث أن الفعل لا يحصل الا بدلالتين ؛ أحدهما تهيوء الفاعل للتأثير والأخرى تهيوء المنفعل للقبول، وما لم يجتمع هذا الامران، لا يحصل فعل ولا أثر لفعل) [٣٣]، لذلك تكون تهيئة مجتمع له الاستعداد إلى تقبل القرارات الرصينة والإيمان

بها من خلال بناء العقل الحاكم، بواسطة تنمية الوعي والإدراك والمعرفة الإيجابية والتي تستحصل من خلال النقاط التالية:

١- **التفكر:** تُعد الخطوات العقلانية التي ينتهجها الإنسان والتي تنبع من وجوارحه، من خلال النظر والتأمل فيما حوله من الطبيعة والخلق الإلهي، فالتفكر هو حركة الذهن في محيطه، وتحديد المشكلات ومحاولة الوصول إلى إجابات لها، ولقد حثّ الفكر الإسلامي على التفكر، وإشغال العقل بالقضايا المهمة وتحليلها، وتحديد المشكلات لإيجاد حلولاً لها، لأنها تعطي للإنسان كرامته وقيمته العليا التي خصها الله تعالى به، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣٤]، فالآيات هي الدلائل التي عرضها الله تعالى للخلق، كي تكون من المنبهات العقلية والحسية للإذعان بأن الله تعالى هو الخالق المدبر للخلق، وهذا نتيجة التفكر فيها، وقد اختلف العلماء بمكان العقل هل هو في المخ أم في القلب، لأن كثير من الآيات قد أشارت إلى أن المعرفة تنبع من القلب، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[٣٥]، تدبر القرآن من اللوازم المهمة في الدين الأسمى، فهو ليس كتاب كسائر الكتب، والإشارة إلى القلب هنا يعني بأن للقلب الدور في الفهم والمعرفة القلبية، أي فهم مع تحرك الوجدان، (معرض الإنكار والتوبيخ، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟) وقال علي كرم الله وجهه: لا خير في قراءة لا تدبر فيها. وصدق رضي الله عنه، لأن القرآن إنما أنزل ليتدبر. وبالتدبر يفهم المراد منه، ويتوصل إلى العلم به)[٣٦]، وكثيراً ما خاض العلماء في ماهية القلب وماذا يمثل للإنسان، أهو مصدر الحياة في الإنسان أم هو محط الأفكار والإدراكات لديه، استناداً للآية الآنفة الذكر، وما يكون التدبر إلا في محط التفكير، والذي يعني التأني في إدراك الفكرة واستيعابها، أي تفكّر بروية ما المقصود منها، وفي هذه القضية تحتاج لمعالجة الفكرة المطروحة وهذه تحتاج إلى آلة من أجل تفصيلها وإدراكها جيداً، في نظام مخصص لذلك التفصيل والتحليل، وكما يقول السيد الطباطبائي: (أن المراد بالقلب هو الإنسان بمعنى النفس والروح، فإن التعقل والتفكر والحب والبغض والخوف وأمثال ذلك إن أمكن أن ينسبه أحد إلى القلب بإعتقاد أنه العضو المدرك في البدن كما السمع إلى الأذن والأبصار إلى

العين، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ [٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾ [٣٨] [٣٩]، فالقلب عليه التفكر والتدبر الروحاني المتعلق بالوجدان، وهذا ما يركز عليه الفكر الإسلامي هو المحاكاة الوجدانية التي تحدث تفاعلاً وجدانياً مع المعلومة المعروضة، لذلك أكد الله تعالى على الرسول الكريم (ﷺ) بأن يكون رحيما بالعباد، ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [٤٠]، اللطيف بالقضية محاكاة القلب إلى القلب، من يتكلم ويعطي المعلومة من قلبه تصلى إلى القلب ومنها الإدراك، لذلك خصّ الفكر الإسلامي الاهتمام بمفهوم القلب ليس كعضواً في الجسد يضخ الدم على سائر انحاءه، بل المتعلق بالوعي والإدراك.

هناك المفهوم الآخر الذي يشترك مع الدماغ والقلب في خزن المعلومات وتحليلها لتؤدي بدورها الراحة أو الشقاء، وهو البالَ، ولقد جاء في معاني كثيرة لها التفصيل في كلاً منها، قال تعالى: ﴿ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾ [٤١]، ورد في حديث الزكاة ومستحقيها،(العلامة المذكورة في قوله تعالى: (تعرفهم بسيماهم) ما يظهر في وجه الإنسان من كسوف البال وسوء الحال، وإن كانت بزتهم وثيابهم وظاهر هيئتهم حسنة جميلة)[٤٢]، والرواية الأخرى من كتاب المقفع عن لسان الحيوانات قال: (فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها: يا حمامة ! ما لي إراك كاسفة البال سيئة الحال: فقالت له: يا مالك الحزين، إن ثعلبا دهيت به كلما كان لي فرخان، جاءني يتهددني ويصيح)[٤٣]، نفهم مما ذكر في موضع البال هو الفكر وما يحمل في القلب من همّ أو سرور، كما قيل: كسوف أو كاسفة البال، وهو الهم والحزن أي ذهاب الفكر والراحة، وهما يشيران إلى ما يحمل من أفكار تؤدي إلى عدم الراحة.

نراها لدى الشيرازي في تفسيره: (إصلاح البال. لقد جاء " البال " بمعان مختلفة، فجاء بمعنى الحال، العمل، القلب، وعلى قول..... الراغب: بمعنى الحالات العظيمة الأهمية، وبناء على هذا فإن إصلاح البال يعني تنظيم كل شؤون الحياة والأمور المصيرية، وهو يشمل - طبعا - الفوز في الدنيا، والنجاة في الآخرة، على عكس المصير الذي يلاقيه الكفار، إذ لا يصلون إلى ثمرة جهودهم ومساعيهم، ولا نصيب لهم إلا الهزيمة والخسران بحكم: أضل أعمالهم. ويمكن القول بأن غفران ذنوبهم نتيجة إيمانهم،

وأن إصلاح بالهم نتيجة أعمالهم الصالحة. إن للمؤمنين هدوءا فكريا واطمئنانا روحيا من جهة، وتوفيقا ونجاحا في برامجهم العملية من جهة ثانية، فإن لإصلاح البال إطارا واسعا يشمل الجميع، وأي نعمة أعظم من أن تكون للإنسان روح هادئة، وقلب مطمئن، وبرامج مفيدة بناءة)[٤٤].

نستنتج من ذلك كله ان الفكر الإسلامي له التفاصيل الدقيقة في كل جنبة من جنبات الإنسان وبما يتوافق مع نفسيته وراحته الجسدية والروحية، والترابط بين المفاهيم الثلاثة إلا وهي(العقل، والقلب، والبال) إنما تمثل المنظومة المتكاملة في الإنسان، وكلاً منها لها دورها الخاص بها واحداهما تكمل الأخرى، عن الرسول (ﷺ) (إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولادين لمن لا عقل له)[٤٥]، فالخير هو مؤداه راحة البال ورخيه، والدين ينبع من عقيدة القلب، فمن لا عقيدة لديه لا يمتلك العقل.

متعلق العلم والمعرفة لابد من أن تأتي بالمؤهلات التي تساعد العقل على الفهم والقلب بالوعي والإدراك ويكتسب فيها راحة البال والهدوء والسكينة، وهذه ممكن أن يستحصلها الإنسان عن طريق التعلّم وهذا بدوره يأتي من خلال القراءة.

٢- **القراءة:** من اللوازم التربوية الأخلاقية والعلمية للإنسان هو التعلم، وهذا التعلم يأتي على عدة أشكال، أما أن يكون بالقراءة اللفظية أو القراءة الجسدية، أو قراءة الأحداث الواردة في عصره، أكد الخطاب القرآني على القراءة من حيث أول لفظ في أول آية نزلت على الرسول الكريم (ﷺ)، هي (إقرأ) وهذا لم يكن مجرد لفظ يراد به القراءة العادية، بل لفظ وجهه الله تعالى إلى رسوله وهو الأنموذج الحي الواقعي للناس جميعاً، بل القراءة التي تتوافق مع حجم الرسالة الإلهية وخاتمة الأديان، (ومن هنا نفهم أهميّة البحث، فالبحث وسيلة لاكتشاف الحقائق، وطريق للتمرس في العلوم عموما، وبواسطته يرتقي الإنسان من الجهل إلى النور بإذن اللّه عزّ وجلّ. وخير هذه العلوم هي التي تؤدي إلى التفكّر في آيات اللّه تعالى، فسبب خلق الإنسان هو التّعرّف على صفات اللّه تعالى، من عظمة وحكمة)[٤٦]، لذلك من أساليب الفكر الإسلامي هو الحث على البحث والإستقصاء في خلق الله للوصول إلى العلوم النافعة، لذلك يعتبر أهم العلوم وأنفعها هي العلوم الربانية التي جاء بها في القران الكريم من القضايا العلمية في كل شيء، التي تشمل الإنسان وكيفية خلقه ابتداءً

ومن ثم خلقه في الأرحام، إلى الكون وما فيه من مخلوقات وفق نظام دقيق فيه المعجزات الإلهية من حيث التكوين والإدامة، قال تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٤٧).

الفكر الإسلامي يحتاج إلى الأذن الصاغية والقلب الواعي والفكر المدبّر والبال الرخي، كي يستطيع حينذاك أن يتقبل القرارات التي تصاغ وفق الفكر الإسلامي وشريعة الله في أرضه.

٣- **الممارسة:** تبقى العلوم طي الكتب والمعلومات والحقائق جامدة مادامت لم تخرج إلى أرض الواقع والعالم العملي والفعلي الواقعي للإنسان، لذلك لابد من خروج كل الحقائق التي يسعى إليها الإنسان ويستنبطها من عالمه، ويكون هذا الخروج ممارسة عملية واقعية لا أسقاط فرض فحسب، بل تعطي النتاج الذي من أجله وضعت، ويكون على عدة أشكال ومنظومات، أولاها المنظومة الصغيرة التي يتبناها الإنسان فرادى وهو العمل الخاص به، وهذا العمل لا يؤدى دوره الحقيقي إلا وقد امتلك من المقومات اللازمة لذلك العمل، فتأتي المعلومة والمعرفة قبل العمل، وفيما نقله الريشهري عن الإمام علي (عليه السلام) قال: (العلمُ بِلا عَمَل وَبالٌ، العَمَلُ بِلا علم ضَلالٌ. وعنه (عليه السلام): علمٌ لا يَنفَعُ كَدَواء لا يَنجَعُ.عنه (عليه السلام) - من كتابه إلَى الحَسَنِ (عليه السلام) -: إنَّ خيرَ القَولِ ما نَفَعَ، واعلَم أنَّهُ لا خَيرَ في عِلم لا يَنفَعُ ولا يُنتَفَعُ بِعِلم لا يَحقُّ تَعَلُّمُهُ)(٤٨).

لذلك نرى من المؤكدات في الفكر الإسلامي، اقتران العلم بالعمل، وترابطهما مع بعض والمؤثرات المتبادلة بينهما، فالعلم لا فائدة منه مادام ظلّ حبيس الصفحات والكتب، ومنها العلوم الإنسانية التي تبني السلوك والمهارات، ومنها العلمية التطبيقية التي تدخل في الآلات والصناعة و المجال العملي، وما شابه، وممارسة العمل ينمي المهارات العملية للإنسان، ويزيده رصانة، و ينجز العمل بأداء أفضل وأسرع.

الممارسات الفردية اذا اجتمعت تنتج المؤسسات الحكومية كانت أم الغير حكومية، ومنها منظمات المجتمع المدني، حينما نقول المؤسسة وهي ما أسس على نظام معتبر يديره مجموعة من الأفراد، وهؤلاء بدورهم يقومون بالمهام المتنوعة التي تخدم الأهداف التي

وضعت وفق النظام الداخلي للمؤسسة، فكلما كانت المنظومة رصينة الأفكار وتستند إلى العلوم الصحيحة في تخطيطها وتنفيذها تكون أقرب إلى الحرية الفكرية من الجمود العقلي، وبعيدة عن العقل الجمعي، وبالتالي يسهل على صانع القرارات صناعة قراراته الجديدة بدون عراقيل أو عقبات، وهذا ما حثّ عليه الفكر الإسلامي حينما حدد الأمة واجتماع مجموعة من الناس على هدف محدد تعرف ملامحه من النتائج التي تظهر لديه، وهو العمل المقترن بالمعروف، والذي يشمل كل ما هو حسن من القول والفعل والعمل، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٤٩]، (قول: وهؤلاء هم المنجحون المدركون ما رجوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة)[٥٠]، (الْمُفْلِحُونَ أي الفائزون بالثواب)[٥١]، يسعى الإنسان إلى النجاح والفوز بالجوائز العينية والمعنوية، وهاهنا يشير الخطاب القرآني لمن يلتزم من الناس مجموعين على الفعل الحسن والأمر به والنهي عن الفعل القبيح، ينال الفوز والنجاح، وعلاوة على ذلك هو إدراكهم لهذه المزايا التي حصلوا عليها، وليس كالغافل الذي لا يشعر بنعم الله عليه.

ب- مواجهة تحريف القرار:

ومن العقبات التي تواجه صناعة القرار، هو تحريف القرار بعد اتخاذه، وهذا ما واجهه الفكر الإسلامي على اختلاف العصور ومن أهمها الواضحة للعيان تلك الأحداث التي جرت وحرّفت القرار عن موضعه ومازال الرسول بين أظهرهم، حينما صنع الرسول الكريم (ﷺ) قراراً يحمي فيه الرسالة من التحريف وضياع الأمة الإسلامية من بعده وكانت كل المؤشرات والدلائل بأن الصحابة لهم الأطماع في قيادة الأمة الإسلامية وهذا ما كان من العقبات التي واجهها النبي (ﷺ)، ومنها قرار تولي القائد أسامة بن زين، من حيث سرعان ما حرفوا القرار من بعده (ﷺ)، هذا وكان القرار الأكثر أهمية في حفظ الرسالة هو تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة من بعده (ﷺ)، هذا ما تم تأكيده في الروايات المتوترة عن الرسول (ﷺ)، (حدثنا عبد اللّه بن الهذيل وسألته عن الإمامة فيمن تجب وما علامة من تجب له الإمامة ؟ فقال: إن الدليل على ذلك والحجة على المؤمنين، والقائم بأمور المسلمين، والناطق بالقرآن، والعالم بالأحكام أخو نبي اللّه وخليفته على أمته ووصيه عليهم، ووليه الذي كان منه بمنزلة

هارون من موسى المفروض الطاعة بقوله تعالى:{﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ (٥٢) ، الموصوف بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ (٥٣)، المدعو إليه بالولاية، المثبت له الإمامة يوم غدير خم بقول الرسول عن اللّه عز وجل: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله، والعن من ظلمه وأعن من أعانه، علي أمير المؤمنين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، .....)(٥٤)، والرواية الأخرى، (وذلك أي النبي (ﷺ) نصب عليا (عليه السلام) يوم الغدير للإمامة والخلافة بعد وقال: ألست أولى منكم بأنفسكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله: قال: ألا فمن كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت نبيه فعلي وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار. ثم قال لإصحابه: سلموا على علي (عليه السلام) بإمرة المسلمين فسلموا عليه بالولاية والإمارة، وفي المسلمين عليه بذلك أبو بكر وعمر وقال له عمر: بخ بخ لك يا أبا الحسن أصحبت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)(٥٥)، هذه قطرة من بحر الروايات التي تثبت وصية النبي (ﷺ)، والقرار الذي ابلغ به الناس جميعاً في ولاية الأمة الإسلامية للإمام علي (عليه السلام) وولده من بعده، لكن واقع الحال عبر التاريخ والأزمان ما كان إلا النكوث بالعهد وتحريف القرار عن موضعه، لذلك أعطى الفكر الإسلامي الأهمية القصوى للحفاظ على القرار من التحريف، وخلق البيئة المناسبة له في المجتمع الإسلامي، وهذا ما أجاده الإمام علي (عليه السلام)، في قضية سكوته حينما سلبوا منه ولاية الأمة الإسلامية، خوفاً من الفتنة والانشقاق الذي يشق صفوف المسلمين، ولنفس السبب من خوف تأويل القرارات اللاحقة من سكوت الإمام علي (عليه السلام) وصلح الإمام الحسن، كانت ردة فعل الإمام الحسين هو إصلاح المسيرة التربوية السياسية المجتمعية، والتصريح العلني الذي لا يحتاج إلى تحريف أو تأويل في السلوك، فكانت مسيرته الكبرى إلى كربلاء، في تعريض نفسه وأهله إلى مخاطر القتل والسبي، كي لا يحرف قراراهم، ولتأكيد موقفهم ضد السلطة الحاكمة الظالمة المستبدة التي لم تحرّف قرار رسول الأمة فحسب بل حرّفت الشريعة الإلهية عن مسارها الصحيح، وبالرغم من ذلك كانت المحاولات بالتسقيط في قضية

الإمام الحسين كثيرة، لكن ما أن تظهر في محفل ما إلا وكان لها النقّاد بالمرصاد، لأنها تمثل وجه الحق والحقيقة، وكان رد العقاد واحداً منهم: (وأيسر شيء على الضعفاء الهازلين أن يذكروا هنا طلب الملك ليغمزوا به شهادة الحسين وذويه، فهؤلاء واهمون ضالّون مغرقون في الوهم والضلال)[٥٦].

نتائج البحث

قد بانت نتائج الدراسة المتواضعة في عدة نقاط :

١- أنّ الفكر الإسلامي يحتوي منظومة قوية رصينة، لانها تستند الى تشريع وحكم من قبل الخالق للاكون وما فيها وهو الاعلم حيث يشرع، فلابد من اعتمادها في صنع القرار.

٢- مباديء الفكر الاسلامي تعتبر من الثوابت لا تغيير فيها عبر العصور والازمان، لأنها تحمل المنظومة التي تساعد الانسان على صياغة أفكار وتطبيقها في محيطه، وتعمل على حفظ نفسه وبيئته من الفساد، لذلك تكون قراراته حينها تصب في مصلحته ونجاته.

٣- للفكر الاسلامي القدرة على مواكبة التطورات الحاصلة، بل الاحرى أن نقول هو من يقود الانسان للتطور من خلال الحثّ على التفكّر والمعرفة وزيادة الوعي وادامته، وهذا ما يؤثر على صناعته للقرار في الاتجاه الإيجابي الذي يرجوه.

٤- للفكر الإسلامي الوقفة الجادة في مواجهة التحديات العصرية، ومنها العقل الجمعي ، ولنا في الرسول الكريم ومواقفه الاسوة الحسنة في التبليغ، والصبر على التحديات المجتمعية، لهذا يكون القرار في هذا المضمار لا يخرج عن التشريع الإلهي الرصين.

٥- للفكر الاسلامي القابلية على تحديد المشكلات ، وإيجاد الحلول لها.

هوامش البحث ومصادره

١ / أبن منظور: أبي الفضل ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ج٨ ص ٢٠٨.

٢ / سورة يس : اية ٣٨.

٣ / سورة الأعراف: اية ٢٤.

٤ / انظر: ابن منظور: لسان العرب، ج٥ ، ص ٨٣ – ٨٨ .

٥ / الفضلي: عبد الهادي، محاضرات في الفكر الإسلامي المعاصر، ديوانية الغدير، المملكة العربية السعودية، تقويم النص، حسين المياحي، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، ص ١٤٠.

٦ / الحسن، سطور بين الإنسان والقرآن، (قم، إيران: منشورات المحبين، مركز الهدف للدراسات، ١٤٣٤هـ ، ٢٠١٢م، ط١).ص ٩٠.

٧ / سورة البقرة: الأية ٢٨٦.

٨ / سورة المؤمنون: الآية ٦٢.

٩ / سورة الرعد: الآية ١١.

١٠ / ينظر بتصرف: الحسن، سطور بين الإنسان والقرآن، ص١٠٩- ١١٣.

١١ / سورة الأنعام: الآية ١٤١.

١٢ / سورة الأسراء: الآية ٢٩.

١٣ / سورة الطلاق: الآية ٢.

١٤ / سورة الأنفال: الآية ٢٩.

١٥ / ينظر السند، أسس النظام السياسي عند الإمامية، تحقيق: محمد حسن الرضوي، مصطفى الإسكندري، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ط١).ص ٢٨٨، بتصرف.

١٦ / سورة البقرة: الآية ١٤٣.

١٧ / ينظر: الصدوق، الإعتقادات، تحقيق : عصام عبد السيد، مؤسسة الصادق (عليه السلام)، ط١، مهر/ قم ، ١٤١٣هـ ، ص: ٣١- ٣٢ . الشيخ المفيد: تصحيح اعتقادات الامامية، تحقيق: حسين دركان، دار المفيد للطباعة والنشر، ط٢، بيروت/ لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٤٦.

١٨ / سورة الرعد: الآية ٣.

١٩ / سورة الروم: الآية ٤١.

٢٠/ السبزواري النجفي: الشيخ محمد، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، (بيروت، لبنان: دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ط١).ص: ٤١٧.

٢١ / سورة المائدة: الآية ٤٩.

٢٢ / سورة المائدة: الآية ٥٠ .

٢٣ / سورة المائدة: الآية ٤٤.

٢٤ / ينظر: جريشة، علي، أساليب الغزو الفكري، تحقيق: محمد الزبيق، (دار الاعتصام، ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٧م ط١) ص: ٣٩ – ٣٨.

٢٥ / ينظر المصدر نفسه: ص٤٠.

٢٦ / سورة الانفال: ٦٥.

٢٧ / سورة الانعام: ٣٧.

٢٨ / سورة المائدة: ١٠٤.

٢٩ / الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٤، ص: ١٧٠.

٣٠ / سورة الروم: الآية ٣٠.

٣١ / سورة البقرة: الآية ١٤٣.

٣٢ / سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

٣٣ / الفارابي: أبو نصر ، رسالتان فلسفيتان، حققه وعلّق عليه: جعفر آل ياسين، دار المناهل، ط٢، بيروت / لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ص١٤.

٣٤ / سورة الروم: الآية ٢١.

٣٥ / سورة محمد: الآية ٢٤.

٣٦ / البكري الدمياطي، إعانة الطالبيين، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م، ط١).ج٢، ص:٢٨٤.

٣٧ / سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

٣٨ / سورة ق: الآية ٣٣

٣٩ / ينظر: الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، بيروت: منشورات الأعلمي، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ط١).ج٢، ص: ٢٢٨.

٤٠ / سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

٤١ / سورة محمد: الآية ٢.

٤٢ / ينظر الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد شاهين، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م). ج١، ص:٥٦٠.

٤٣ / ابن المقفع، آثار ابن المقفع، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٨٩م، ط١، ص:٢٧٤.

٤٤ / ينظر: الشيرازي، مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٦، ص:٣١٨- ٣١٩.

٤٥ / البحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص:٣٨.
٤٦ / ينظر : الأغر، كريم نجيب، إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، دار المعرفة، بيروت / لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. ص: ١١.
٤٧ / سورة فصّلت: ٥٣.
٤٨ / الريشهري، محمد، موسوعة العقائد الإسلامية، تحقيق: مركز بحوث الحديث، (دار الحديث للطباعة والنشر، ١٤٢٥ هـ ، ٢٠٠٤م).ج ٢، ص: ٤٨٣.
٤٩ / سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
٥٠ / الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م، ط١).ج١٨، ص:٥٣٢.
٥١ / السبزواري، محمد، إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن ، ص:١٦٠.
٥٢ / سورة النساء: الآية ٥٩.
٥٣ / سورة المائدة: الآية ٥٥.
٥٤ / العاملي، الحر، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج٢، ص: ٤٦- ٤٧.
٥٥ / الطوسي، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، تحقيق وتصحيح وتعليق : مير داماد الأستراباديي / تحقيق : السيد مهدي الرجائي، ١٤٠٤هـ ، ج ١/ ص ١٢٦.
٥٦ / العقّاد، عباس محمود، أبو الشهداء الحسين بن علي (ع)، لمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، مديرية النشر و المطبوعات - تهران – ايران، تحقيق : ساعدى ، محمد جاسم،ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.ص: ٢٩٥.